

المحاضرة الثانية والعشرون فوائد القسم في القرآن

فائدة القسم في القرآن:

تمتاز اللغة العربية بدقة التعبير واختلاف الأساليب بتنوع الأغراض، وللمخاطب حالات مختلفة، هي المسماة في المعاني بالضرب الخبر الثلاثة: الابتدائي، والطلبى، والإنكاري.

فقد يكون المخاطب خالي الذهن من الحكم فيُلقي إليه الكلام غفلاً من التأكيد، ويُسمى هذا الضرب: ابتدائياً.

وقد يكون متردداً في ثبوت الحكم وعدمه، فيحسن تقوية الحكم له بمؤكد ليزيل تردده، ويُسمى هذا الضرب: طلبياً.

وقد يكون منكرًا للحكم، فيجب أن يؤكد له الكلام بقدر إنكاره قوة وضعفاً، ويُسمى هذا الضرب: إنكارياً.

والقسم من المؤكدات المشهورة التي تمكن الشيء في النفس وتقويه، وقد نزل القرآن الكريم للناس كافة، ووقف الناس منه مواقف متباينة، فمنهم الشاك، ومنهم المنكر، ومنهم الخصم الألد. فالقسم في كلام الله يزيل الشكوك، ويحبط الشبهات، ويقيم الحجة، ويؤكد الأخبار، ويقرر الحكم في أكمل صورة.

أنواع القسم:

القسم إما ظاهر، وإما مضمّر.

- ١- فالظاهر: هو ما صُرح فيه بفعل القسم، وصرح فيه بالمقسم به، ومنه ما حذف فيه فعل القسم كما هو الغائب اكتفاءً بالجار من الياء أو الواو أو التاء. وقد أدخلت "لا" النافية على فعل القسم في بعض المواضع كقوله تعالى: ﴿لَا أُفْسِمُ بِيَوْمٍ، الْقِيَامَةِ وَلَا أُفْسِمُ بِالنَّفْسِ اللّوَامَةِ﴾ سورة القيامة آية ١، ٢.

٢- والقسم المضمّر هو ما لم يصرّح فيه بفعل القسم، ولا بالمقسّم به، وإنما تدل عليه اللام المؤكدة التي تدخل على جواب القسم كقوله تعالى: ﴿لَتُبْلَوْنَ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾ سورة الفجر آية ١-٥ ، أي والله لتبلون.

الجدل في القرآن الكريم

تعريف الجدل:

والجدل والجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة لإلزام الخصم، أصله من جدلت الحبل: أي أحكمت قتله، فكأن المتجادلين يقتل كل واحد الآخر عن رأيه.

يعرف اصطلاحاً بأنه: "تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه .

وقد ذكره الله في القرآن على أنه من طبيعة الإنسان في قوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ سورة الكهف آية ٥٤، أي خصومة ومنازعة.

وأمر رسول الله ﷺ أن يجادل المشركين بالطريقة الحسنة التي تليّن عريكتهم في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة النحل آية ١٢٥.

وأباح مناظرة أهل الكتاب بتلك الطريقة في قوله: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ سورة العنكبوت آية ٤٦.

ومثل هذا من قبيل المناظرة التي تهدف إلى إظهار الحق، وإقامة البرهان على صحته، وهي الطريقة التي يشتمل عليها جدل القرآن في هداية الكافرين وإلزام المعاندين، بخلاف مجادلة أهل الأهواء فإنها مناظرة باطلة، قال تعالى: ﴿وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ﴾ سورة الكهف آية ٥٦.